

التّواصل والتعدّد اللّغوي بين الواقع والضرّورة في شبكات التّواصل الاجتماعي *Communicatin and multilingualism between reality and necessity in social media network*

راوية شاوي^{1*}، حنان بن قيراط²

¹ جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر).

² جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر).

تاريخ الاستلام : 01 مارس 2024 ؛ تاريخ المراجعة : 10 جوان 2024 ؛ تاريخ القبول : 29 أكتوبر 2024

ملخص:

يتمّ التّركيز في هذا المقال على التّواصل والتعدّد اللّغوي ما بين الواقع والضرّورة في شبكات التّواصل الاجتماعي لدى المتعاملين الرّقميين أو الاجتماعيين في الفضاء الأزرق؛ بغية البحث عن واقع اللّغة العربيّة في ظلّ التعدّد اللّغوي واختلاف طرق التّعبير ولجوء العديد من المتعاملين إلى اختصار واختزال الكلام لريح الوقت، أو للتّعبير عن مكنوناتهم وأحاسيسهم بدقّة فيستخدمون الرّموز والصّور أو ما يُعرف بالإيموجي المتعدّد الأشكال والتّعبير. فهل هذا يدعو إلى الخوف على اللّغة العربيّة من التّهميش والإقصاء؟ في حين تكون السّيطرة للصّورة أو لبعض اللّغات الأجنبيّة أو العاميّة؟ ما موقع اللّغة العربيّة في ظلّ هذه التعدّدية اللّغويّة؟
الكلمات المفتاحية: تواصل اجتماعي؛ تواصل؛ تعدّد لغوي؛ لغة عربيّة؛ فايسبوك؛ إيموجي.

Abstract:

In this article paper, the focus on communication and multilingualism between reality and necessity in social networks of the digital or social dealers, in order to search for reality of Arabic language and the different ways of expression, when many dealers resort to abbreviation and shortening speech to wind up, or to express their feelings accurately, using symbols and pictures or what is known as multi-shaped emoji. Does this leads to fear of marginalization and exclusion for the Arabic language when control is a form or some foreign or nude languages? What is the position of the Arabic language in light of this multilingualism?

Keywords: Social communication; Communication; multilingualism; Arabic Language; Facebook; Emoji.

*Corresponding author: e-mail: chaoui.rawia@univ-guelma.dz.

1- مقدمة

في ظلّ العولمة، والانتشار الواسع والسّريع لوسائل التّواصل المتعدّدة بات العالم قرية صغيرة تُعرف فيها دقائق الأمور، وأخذت المعلومات تنتقل بسرعة البرق عبر كامل أرجاء العالم، وكلّ ذلك مرده إلى الإعلام وشبكات التّواصل الاجتماعي، وأخذت هذه المواقع والشبكات «موجةً جديدةً من موجات ثورة المعلومات التي بدأت في أواخر القرن الميلادي المنصرم، ومع انتشار أجهزة التواصل الحديثة المسماة بالذكية دخلت البشرية مرحلةً غير مسبوقة في مجال تواصل الأفراد مع غيرهم من الأفراد والمؤسسات، حيث لم يعد العالم قريةً صغيرةً كما كان يقال سابقاً، بل صار هذا العالم كلّهُ عند أطراف أصابع الإنسان، بغضّ النظر عن عمره ومستوى تعليمه وجنسيته ومكان تواجده» (للاستشارات، 1438 هـ، صفحة 5). هذا ما انعكس على التّواصل ووسائله؛ إذ حلّت مواقع التواصل الاجتماعي محلّ الرّسائل البريدية واللقاءات والتّجمّعات... وكلّ ذلك بدوره أثر إمّا سلباً أو إيجاباً على اللّغات العالمية والمحليّة، وخاصّة اللّغة العربيّة، فقد أصبح المجتمع العربيّ يرى تعدّداً هجيناً من الأنماط التواصليّة التي لم تعد مقتصرةً فقط على اللّغة العربيّة وإن كانت الأساس الذي لا يمكن الاستغناء عنه بأيّ حالٍ من الأحوال.

ومن هنا تتولّد لنا إشكالية جوهرية مفادها "ما هو واقع اللّغة العربيّة في ظلّ التّعدّد اللّغوي وكيفية التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك)"، ومجموعة من الإشكاليات الفرعية التي تتّصل بمرجعيات الموضوع، وسنحاول دراستها وتبسيط الضّوء عليها، منها:

- هل يحقّق التّعدّد اللّغوي التّواصل المبتغى لدى المتعاملين في شبكات التواصل الاجتماعيّة؟
- ما مصير اللّغة العربيّة في ظلّ انتشار توظيف العامية والرموز والصور؟
- ما موقع اللّغة العربيّة في ظلّ المدّ العولمي والتّعدّد اللّغوي والثّقافي؟
- وما هو واقع اللّغة العربيّة عند أهلها في الفضاء الأزرق؟

2. مفهوم التّواصل:

إنّ العملية التّخاطبية أو التواصليّة مرتبطة بين شخصين فأكثر، يحدث بينهما كلام ينتج من متكلّم إلى سامع، أو من مرسل إلى متلقّي؛ بمعنى أنّ التّواصل علاقة تفاعلية بين المتحدّثين في سياق اجتماعي معيّن، ولا يجب إن تكون اللّغة التواصليّة غير مفهومة وإلاّ صعب الفهم واختلّت العملية التواصليّة؛ إذ من شروط التبليغ والتواصل البدهية ووحدة اللّغة أو على الأقلّ الدراية باللّغة المستعملة. وكما هو معلوم فإنّ التّواصل يحكمه ستّة عناصر وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرّسالة، والقناة، والشيفرة (الكود)، والمرجع.

وقد يختلط مصطلح التواصل مع عديد المصطلحات من قبيل: التبليغ، والتّخاطب... وانطلاقاً من المفهوم اللّغوي للتواصل نجد أنّ المعنى يكاد يكون واحداً؛ إذ ورد في المعاجم العربيّة أنّ التّواصل من أصل (وصل)

والتي تعني: «وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلاً وَصِلَةً وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وفي الحديث: من أراد أن يطول عمره فَلْيَصِلْ رحمه» (منظور، لات، صفحة 82)، بمعنى الالتقاء وعدم الانقطاع، والأمر ذاته مع (اتَّصَلَ) التي تعني: «اتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: التَّأَمَّ وصار موصولاً به. ويُقال: اتَّصَلْتُ الأشياءُ: تتابعتُ. (تواصل): لم يتقاطعا (...)»، (الاتصال): وسائل الاتصال الجماهيري: الطَّرَق التي يمكن بها إيصال فكرة أو رأي إلى عدد كبير من الأفراد المنتشرين في أماكن بعيدة متفرقة كالصحافة والإذاعة. ولهذه الوسائل شأن كبير في نقل الأفكار وربط الجماهير بعضها ببعض» (العربية، 1994، صفحة 671) فالتواصل إذن؛ من الاتصال والذي يعني الجمع والاشتراك والتبليغ والإعلام، كما هو شائع اليوم في وسائل التواصل الاجتماعية.

وقد يكون التَّواصل لغويا لفظيا عن طريق الكلام وفق المستويات النحوية والصرفية، أو كتابيا، وقد شاع في وسائل التواصل الاجتماعية أنواع عديدة من التواصل الاجتماعي منها: الكتابية واللفظية والإلكترونية، وهذا ما أدّى إلى التعدّد اللغوي أثناء العملية التواصلية.

3. المتلقي والعالم الافتراضي:

تُجمل الثروة اللغوية التي يمتلكها عامّة الناس -عادةً- في كلّ ما اكتسبه في حياته اليومية والدراسية والعملية من تراثٍ لغويٍّ وغير لغويٍّ؛ لذا فمعرفة هذه عادةً تتّسم بالعمق والاتّساع نسبياً بما يمكنه من الاتصال المباشر وغير المباشر، وبما هو موجودٌ في شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة... وهذا ما يدخل ضمن الأهداف العامة المتوخاة من اللغة، وأهمّها «مساعدة الفرد على التنمية الشاملة جسمياً وعقلياً وفلسفياً واجتماعياً وخلقياً» (القذافي، لات، صفحة 60)، واللغة العربية - بما لها من ارتباطٍ بالقرآن الكريم والتراث الحضاري والفكري للعرب- هي أقدر على التعبير جيلاً بعد جيلٍ عن مختلف مظاهر الحياة المشتركة بين الأفراد والجماعات، بمختلف ألفاظها وتراكيبها ومفرداتها.

وفي ظلّ الانفتاح العولمي والتطوّر التكنولوجي لم يعد القارئ-اليوم- يقتصر تفاعله وتعامله مع النصوص الأدبية فقط، بل تجاوز الأمر ذلك بكثيرٍ؛ فقد أصبح منتجاً وقارئاً وناقداً ومحللاً ومعلّماً في الآن نفسه في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي ف«الشخص المنتمي إلى هذا المجتمع عضوٌ فاعلٌ، أي أنّه يرسل ويستقبل ويقرأ ويكتب ويشارك ويسمع ويتحدّث» (للاستشارات، 1438 هـ، صفحة 15)؛ لأنّه يرى في ذلك إثباتاً لذاته وكيونته وأفكاره وحتى بعض ما يمرّ به من أحداثٍ، فيتواصل باللغة مع أفرادٍ آخرين، والآلاف للنظر أنّ اللغة التي يتعامل بها تختلف كثيراً في كلّ مرةٍ لأنّه يمثل مختلف الفئات العمرية، فهو تارةً يكون الخبير، وتارةً المستفهم الطّالِب للمعرفة... بما يرتبط بمواقف خاصّةٍ «تخضع لتوجّهاته الاجتماعية والإيديولوجية والثقافية، وهو - القارئ- شاء أم أبى فإنّ له أكثر من خيارٍ؛ ففضلاً عن تأهيله المعرفي هناك قضايا أخرى تبرز أمامه مثل القضايا اللغوية» (ولعة، صفحة 181).

وهذا ما جعل من المتعاملين مع مواقع التواصل الاجتماعي في أمرٍ مشابهٍ نوعاً ما مع متلقي النصوص الأدبية، ولكنّه يختلف عنه وقد يجاوزه في طريقة تعامله وتوظيفه للغة التي يكتب بها، فقد تكون عاميةً أو فصحي.

واستخدام الأفراد لوسائل الاتّصال ينمّ عن دورهم الذي يمارسونه في عمليات اتّصالهم المختلفة بشكلٍ دائمٍ وتراتبٍ عادةً؛ وذلك في النّشر ولتحقيق رؤية الجماهير لها وانتقاء المحتوى الإعلامي الاتصالي معهم، أو بانتقاء الرّموز التّواصلية اللّغوية وغير اللّغوية في تعاملهم مع الشّيء الذي يتمّ التعليق عليه أيضًا؛ لأنّ «الفرد في المجتمع الافتراضي لا يلعب دور المتلقي فقط، بل إنّهُ يصنع بدوره الرسالة ويلعب أيّما دورٍ في العملية الاتصالية عبر مواقع التواصل الاجتماعي» (قناوي، صفحة 28)، خاصّةً أنّ اللغة المستعملة لم تعد مقتصرّةً على الشبكات الاجتماعية فقط، بل أصبحت متداولةً في مختلف جوانب الحياة اليومية، «أمّا الاحتياجات الاجتماعية فلا يمكن أن تقوم أساسًا دون تواصل إنساني مع المحيط الاجتماعي، وهذا ما وفّرت شبكات التواصل الاجتماعي في العالم الافتراضي، حيث أتاحت المجال واسعًا أمام الإنسان للتعبير عن نفسه ومشاركة مشاعره وأفكاره مع الآخرين» (للاستشارات، 1438 هـ، صفحة 15)، ولم يقتصر استخدامها على فئاتٍ محدّدة بل مسّت الشباب والفئات العادية والمتقّفة من أساتذة وأكاديميين...

4. اللّغة بين الاستعمال والتّواصل:

تعدّ اللغة عند أيّ شعبٍ من شعوب العالم وجهه الآخر للتواصل مع غيره؛ لذلك رافقته منذ وجوده، حتى إن كانت عبارة عن نقوش ورموز شكّلت تأملاته عن الكون بكلّ ما فيه وبكلّ ارتباطاته الواقعية والخيالية، وما طرأ على هذه اللّغة من تغيّراتٍ وتحولاتٍ عبر مختلف العصور والأزمنة مرّدّه ما عرفتته الحياة والإنسان من مستجدّات تولّدت عن تطوّر العلم الذي قطع فيه الإنسان العديد من المراحل المهمّة، وقد دخلت اللغة العربية - أيضًا - العديد من المفردات والكلمات والمصطلحات من مختلف اللغات بين ما هو معرب ودخيل ومترجم... وكلّها تعكس وجهًا من وجوه التطوّر وأصبحت اللغة التعبيرية مزيّجًا من أنماط التعبير الأخرى خاصّةً في مواقع التّواصل الاجتماعي المختلفة.

إنّ الحديث عن فنيّات التعامل اللغوي وغير اللغوي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، يقودنا للحديث عن عدّة أمورٍ متداخلةٍ فيما بينها، تشمل الجانب اللغوي وغير اللغوي؛ فالأوّل يتضمّن استعمال اللغة العربية الفصحى واللغات الأجنبية واللهجات المحلية العاميّة، والثانية يشمل استعمال الصور والرموز والإشارات وغيرها، كوسائل تواصلية تحقّق المنشود... وهذا من شأنه خلق جوّ تواصلٍ وروابط متينة بين المرسل والمتلقي بالضرورة تستجلب دوافع ومؤثّرات لها دورها في التشويق والتحفيز والاتّصال والتفاعل... كما أنّ لذلك جوانب نفسية مرتبطة بالتواصلين بما يشجعهم على التحرّر من القلق ويحفّز طاقاتهم وهمهم ويعزز ثقته (المتلقي) بنفسه وبالعلاقته بالمجتمع الذي ينتمون إليه والذي لا ينتمي إليه؛ ذلك أنّ «صياغة الأهداف تعبّر عن فلسفة مجتمع وتعكس تصوّراته للوجود والحياة» (دريج، لا ت)، صفحة 96).

ويعتبر التواصل بالمحادثات والحوارات من أجود وسائل التواصل بين المتعاملين، سواء أكان بلغةٍ عربيّةٍ فصيحَةٍ أم عاميّةٍ أم أجنبيةٍ أم خليطًا هجينًا من كلّ ذلك، إذا علمنا أنّ الطرف الآخر المتلقي له القدرة طبعًا على الفهم والتواصل بمختلف الرّموز واللّغات. والمتعاملون الرقميون عادةً متشبعون بالعديد اللغات والثقافات

في مختلف المجالات، فنجدهم يدخلون نطاق التواصل متعدد الأطراف والوسائل، مع مراعاة الموضوعات المنشودة والمعبّرة عن حالاتٍ معيّنة ومواقف مختلفة.

5. التّواصل بين اللّسان والصّورة:

لا يختلف اثنان أنّ عصر اليوم هو عصر الصّورة بلا منازع؛ فقد اكتسحت (الصورة) الحياة المعاصرة وهاجمت الإنسان في عقرداره وطمأنينته، وأصبح لا مفرّ منها إلّا إليها، وكثرت بفعل التطوّر العلمي والتّكنولوجي وسائل ووسائط التواصل الاجتماعي، التي قرّبت المسافات بين البشر وألغت الحدود الجغرافية والعرقية -إن صحّ التعبير- واختلفت هذه الوسائل وانتشرت انتشار النّار في الهشيم، وأصبحت ضرورةً ملحّةً يلجأ إليها المتعاملون لأغراض مختلفة: سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وعرقية... أو حتّى للتّرفيه والتّسلية في كثيرٍ من الأحيان.

هذا، وقد عُرفت الصّورة وسيطا للتواصل رفقة الكلمة منذ قديم الزّمان، لغةً صامتةً تكلمها الإنسان منذ العقود الأولى لحياته؛ وذلك في النقوش والرّسومات التّاريخية والأثرية الموجودة في مختلف البلدان مثل «مقابر ذات الرّؤوس الغريبة، والرّؤوس ذات أشكال أغرب، وأشكال ليس من السهل استيعابها (...)» إنها عبارة عن فن رفيع المستوى، إنّه فنّ النّحت، فنّ الرّسم، فن اسمه الرّمز، اسمه الصورة» (عالي، 2004، صفحة 30)؛ فالصّورة من هذا المنظور تتواجد في عديد الفنون وفي كلّ الميادين، وقد طوّعها الإنسان لتتلاءم مع متطلّباته الحياتية وخاصّة استعمالها آليّة للتّواصل والتّبليغ وكشف كوامن النّفس وبواطنها من مشاعر وعواطف وأحاسيس، وقد لجأ إليها النّاس لما فيها من إيحائية وبلاغةٍ قد لا تتوقّر في اللّغة، أو قد تكون اللّغة قاصرةً عن أداء المعنى الصّحيح، فهل هذا يعني إهمال الكلمة وأنها لم تعد تفي بالغرض المطلوب؟ أم أنّ الصّورة فرضت تواجدها في مجتمعٍ يتطوّر باستمرارٍ؟

أضحت الصّورة الرّقمية أو الآليّة -خاصّة في العصر الحالي- من أكثر الأدوات للتّواصل؛ بفضل سحرها الذي تلقّيه على مستعملها، وبفضل سرعة انتشارها وتداولها وقوّة تأثيرها، فحطّمت الهوة بين الثقافة العامّة والثقافة الجماهيرية، وحطّمت أيضًا «الهرمية الثقافية والتراتب الاجتماعي إلى حد أنها بدت وكأنّها الوسيلة التي لا غنى عنها لتحقيق المساواة بين الناس» (معزوز، 2004، صفحة 145)؛ لأنها حقّقت انتشارا مذهلا بين مختلف الشّرائح الاجتماعية من دون تفريق بين المستويات العلمية والثّقافية، فقد أثبتت الإحصائيات أنّ عدد المتعاملين بالفيسبوك يفوق 2,32 مليار مستخدم في جميع أنحاء العالم، إضافة إلى التويتر والفابير والأنستغرام واللينكد ... وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي التي هي في أعداد متزايدة يوميًا، ممّا يدلّ على هيمنتها على السّاحة الرّقمية والتواصلية العالمية.

ونتيجة لظهور الكهرباء والتطوّر الرّقعي والتّكنولوجي تعدّدت الوسائط واختلفت في طرق وكيفية التّواصل، وبفضلها أصبح العالم قرية صغيرة لا يمكن إخفاء المستجّدات والأحداث الجديدة، فبعد أن كانت الرّسائل أو

الهواتف الثابتة من أكبر وسائل التواصل التي تعتمد الكلمة أساساً لها، أضحت الإنترنت على الحواسيب والهواتف النقالة الوسيلة الأكثر نجاعةً صورة وصوتا من الرسالة والهاتف، لما تتوفّر عليه من ميزات تؤهلها لاحتلال الريادة والمراتب الأولى في عالم الرّقمنة والاتصال.

وبالإضافة إلى ما تحتويه وسائل التواصل الاجتماعي من رسائل كلامية كتابية يتواصل بها المتعاملون الاجتماعيون للتعبير عن أغراضهم وتبليغ مقاصدهم، بأيّ لغة أرادوا (لسان) حتّى وإن كان اللّسان غير لسانهم القومي أو المحليّ لأنّهم يحسّون بقدرته الفعّالة على الإفهام والتّبليغ، عادةً ما يتمّ أيضاً استعمال صور ورموز اصطلاح عليها اسم الإيموجي، وهي عبارة عن مجموعة مختلفة من الصّور لوجوه تحمل تعابير وأحاسيس مختلفة في اللون والشّكل، إضافة إلى عديد الأشكال والرموز المتعدّدة الدلالات والإيحاءات.

وبقي اهتمام المشرقيين بالصّورة إلى أن اخترع الياباني "شيجتاكا كوريتا" في السبعينيات من القرن العشرين الإيموجي، والتي استوحاها من رموز نشرات الأرصاد الجوية المستخدمة في حالة الطّقس، والمقصود بالإيموجي «الصورة الرمزية أو الوجوه الضاحكة المستخدمة في كتابة الرسائل الإلكترونية، أصل الكلمة مشتق من مقطعين الأول "E" وتعني الصّورة والثاني "Moji" وتعني طرف أو رمز» (الله، لات، صفحة 485)، ليكون معناها الصّورة المعبرة عن أحاسيس ومعاني ورموز.

تضاف إلى اللّغة والصّورة في وسائل التواصل الاجتماعي الدّردشات والفيديوهات والمكالمات بالصورة، ليحدث التواصل بالصّورة والصّوت معاً؛ وذلك من شأنه تعزيز التفاعل بين المستخدمين، خاصّة وأنّ هذه الدّردشات أو الرسائل أو المكالمات تتسم بالآنية والإرسال الفوري، ومع التطوّر السّريع والاستعمال الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي أخذت الإيموجي بدورها في التطوّر والتّزايد المستمر، حتّى أصبحت لغة منافسة للغات الأصلية أو المحليّة، وأصبحت لسان حال المتعاملين الاجتماعيين والمعبرة عن آرائهم وأفكارهم ومشاعرهم.

من هنا يمكن القول: إنّ الإنسان المعاصر استطاع استخدام ثنائية لغوية متمثلة في اللغة/ اللّسان ككلام منطوق (حروف) من جهة، ولغة صورية عبارة عن إشارات ورموز تحمل دلالات مختلفة من جهة أخرى، وربّما يمكن القول أيضاً: أنّ الصورة أخذت حصة الأسد من الاستعمال وتراجعت اللغات إلى الوراء في بعض الأحيان والمواقف، ما جعل الهيئات والسّلطات العالمية تنادي بضرورة الانتباه إلى الاستعمال المفرط للصور/ الإيموجي على حساب اللغة؛ لأنّها تشكّل تهديداً عامّاً لجميع اللغات، وتمنع من الانتشار الأمثل للغة بين المستخدمين، كما تسمح لولوج لغات أجنبية دخيلة وإحلالها محلّ اللغة الأصلية، وهذا من شأنه أن يززع الكيان والأمن اللّغويين.

6. التّعدّد اللّغوي في وسائل التواصل الاجتماعي:

باعتبار الصّور والرموز في وسائل التواصل الاجتماعي عبر أجهزة الأندرويد لغةً، فإنّها تحمل خصوصيتها وشعريتها التي تميّزها عن لغة الكلام المكتوب أو المنطوق، ولعلّ أشهر الإيموجات وأكثرها تداولاً صورة اليد

الدالة على الإعجاب like، ولكنها قد تحمل دلالات متعددة كالتوقف عن الكلام والاكتماء بالمحادثة السابقة، وتدلّ على تمام الحديث، أو أنّ المتحدث قد أعجب أو وافق على الحديث، وقد تستبدل هذه الصورة بصورة القلب الأحمر أو الوردية الحمراء، للدلالة على المحبة والصداقة والتوافق الفكري.

نشأت عن استخدامات الإيموجي آراء مؤيدة لها وأخرى تحذر من عدم فعاليتها في التبليغ والإفهام، بحجة أنّ الصور قد تحمل دلالات مختلفة غير المتعارف عليها، وأنها نظام لغوي قائم بذاته، فقد يفهم من صورة الوجه الضاحك به دمة أنّ المتحدث يسخر من الكلام، وليس أنّه يضحك لدرجة البكاء من شدة التأثير بما يقال، ودعوا (أصحاب الآراء) إلى ضرورة العودة إلى اللغة لأنها غير قاصرة عن أداء المعنى الصحيح، ومنهم من رأى أنّها أسهمت في إثراء اللغات من خلال تكملة المعنى في الكلام المكتوب باعتبارها الوجه الآخر للاتصال غير اللفظي، وعادلت بذلك لغة الجسد من إيماءات وحركات وإيحاءات. (الله، لات، صفحة 502)

يتمّ أحيانا توظيف بعض الرموز والصور التي تمثّل منشورات وخلاصة تجارب مشابهة للمواقف والأحداث المنشورة... التي تكون معبرة كاللغة وربما أكثر، لتكون صورة مع تعليق أو صورة من دون تعليق؛ وبالتالي يكون استحضارها في بعض المواقف ضرورة عند البعض بما يوجب عليهم إمّا تحميلها أو نقلها أو صنعها ومن ثمّ تداولها، ومن جانب آخر فيما يخصّ التوظيف العامي الذي يغلب على الفصحى، فقد يرتبط بسياق الموقف الذي يستدعي إجابة خاصة للتواصل والتفاعل والتعليق، بما يعكس قدرة الإنسان على الضبط والتحليل والتعليق. والصورة المرفقة دليل على ذلك:



رائي حاب نحكك هاك ونكرفسك

الشكل (02) استخدام الدال اللساني والأيقوني



الشكل (01) استخدام الإيموجي

المصدر: الفاييبوك

وقد أبانت الصورة عن الدلالات المختلفة للابتسامة، مع نوعية كلّ واحدة منها، فلا يعني أنّ الصورة (الابتسامة) تكون بالطريقة نفسها دائما، وإنّما هي متغيرة بتغيّر الدلالات الشعورية المصاحبة لها. استطاعت الرموز عبر شبكة التواصل الاجتماعي أن تؤثر على المستخدمين، وعلى سلوكياتهم وآرائهم، فابتدعوا صورًا معبرة عن كثير من المواقف الاجتماعية والسياسية والدينية، للتعبير عن حالات نفسية معينة وإبراز آراء مختلفة مستوحاة من نسج الخيال، أو تعديل بعض الصور الخاصة بالمشاهير من رجال السياسة أو الممثلين أو المغنيين... وأضافوا إليها ما يروونه معبرًا عن الموقف المقصود، ومنها صور تبعث على الضحك والسخرية من الأوضاع، أو النكت... وغيرها من المواضيع الإنسانية المختلفة.

وبحقيّ، عبّرت الإيموجي عن كثير من الأحاسيس من دون اللجوء إلى اللغة المكتوبة، ولكنّها بقيت قاصرةً عن التّبلغ الدّقيق، ووقفت عائقاً أمام اللّغات الأصليّة، وشكّلت خطراً يهدّد العالم بأسره، في وسائل التواصل الاجتماعيّ وخاصّةً الفاسيبوك.

وقد طغى مصطلحات الإنترنت والإعلام الجديد مختلف الشبكات الاجتماعيّة والعولمة في ارتباطها بالهويّة واللّغة، فكانت «من أهمّ المصطلحات التي أخذت تلقى انتشاراً واستهلاكاً في عالم الثقافة والفكر، حيث يتعامل الشباب الجزائري بلغةٍ جديدةٍ فرضتها أبعاد التكنولوجيا وتهافت الكثير منهم عليها، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافتهم ممّا ساهم ويساهم في التأثير على هوية المستخدمين بالأخصّ على لغتهم الوطنيّة، وهذا نتيجة الابتعاد عن الاستخدام السليم والصحيح لها»، (قناوي، صفحة 38) ومن ذلك استعمال الكاريكاتير والصور والإشارات والرموز غير اللغويّة ولكنّها دالة، حول منشورات وردود فعل وتعليقات حول المنشورات المكتوبة وعادةً ما تكون جادةً، واستعمال التّواصل غير المباشر في التعليقات كثيرًا أثناء الردّ وذلك بنشر روابط صفحات أو مواقع إلكترونية أخرى ذات الصلة بالموضوع المنشور.

وقد تكون الإشارات المستعملة في التّواصل إمّا سريعة قصيرة وإمّا غير مباشرة لا تفصح عن المراد إصباحاً مباشراً؛ لأنّ الإفصاح المباشر عادةً لا يكون إلّا بطريق الدلالة اللفظيّة، التي تختلف من شخصٍ لآخر ما دام المجتمع قد تواضع على دلالاتها.

7. واقع اللغة العربيّة في وسائل التواصل الاجتماعيّ:

إنّ البحث عن واقع استخدام اللغة العربيّة في شبكات التواصل الاجتماعيّ لا يعني البحث فيها باعتبارها لغة الدين، واللغة المعبّرة عن الهوية العربيّة الحضاريّة فقط، بل إنّ الأمر يتجاوز ذلك بكثيرٍ في ظلّ البحث عن واقعٍ يجسّد فلسفة العامّة في طرق تعاملهم وتواصلهم بها وباللّغات واللّهجات أو الجوانب غير اللغويّة المختلفة كالصّور والرموز... وفي ظلّ تقلّبات العولمة وتخطّي المحليّة للعالمية «في محاولةٍ لتحديد تأثيرات خصائص الفيسبوك كقناةٍ اتّصاليّة جديدة على توظيف الأفراد للغة، واتجاهاتهم نحو العربيّة اللغة الأم، في خضمّ صراعٍ لغويّ لا يرحّج واقعه سيادة اللغة العربيّة». (قناوي، صفحة 28)

كان لانتشار مواقع التّواصل الاجتماعيّ في العالم العربيّ أثره على اللغة خاصّةً أنّها تصدر بلغةٍ أجنبيّة، وقد طُرحت العديد من المحاولات لبيان أثر ذلك في عدّة مؤتمراتٍ حاولت دق ناقوس الخطر، وكان أهمّها مؤتمر دبي سنة 2013م حول اللغة العربيّة، مع ما قامت به مجامع اللغة العربيّة في مختلف البلدان العربيّة بين الحين والآخر.

إذا تمّ تصفّح مواقع التواصل الاجتماعيّ في العالم العربيّ- وُجد أنّ أكثر المستخدمين يفضّلون في عملية تواصلهم مع أفراد مجتمعتهم اللغة العربيّة بما فيها من منشورات وتعليقات؛ إذ تستعمل عادةً في

إذا شكى القولون منك بلبلة
... فعليك بالبنسون دون جدالي
وإذا أصبت بزرلة خذ زعبرا
... فهو العلاج لكحة وسعال
استزعر الجرجير فهو كريمة
... ثم قد يأتي على أشكال
وغسل تلك يظمني بقنوس
... وعلاج حب الشباب مثال
وعصارة النعناع خير معالج
... ومشط الذهب البالي
وعليك بالثوفاان أخضر حمية
... يحوي اللون بغير حد نصال
والزنجبيل لوخذ مستوصف
... الكسيدلة فاعله للغالي
ودواء التهابات الحشا بابونج
... ومنوع للرضع الأطفال
لدورة دموية خذ زعبرا
... كم كرسا ان كان ضغطك عالي
والدوم كم في له من نعمة
... منعا علاج يبتدري بريال
واهرع إلى المأموف ان بك سكر
... ين تعصق هالدواء دوالي
#الله يخلق دائما ودوائا
... سبحانه رب عظيمه عالي

اللهم بيتاً بالحب والود قائماً
بيتاً إذا رآه النبي تبسم وبأه به
الأم يوم القيامة 🌸🌸

المصدر: الفايس بوك

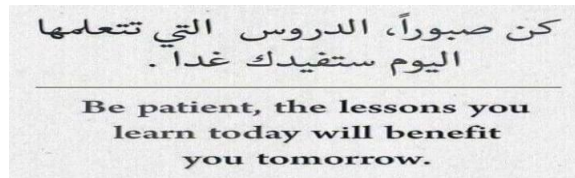
ويتمّ توظيف اللغة العربية الفصحى كما العامية عند كثيرٍ من المتعاملين في العالم الافتراضي، فضلاً عن تخلّل أحياناً مصطلحات أو كلمات أجنبية كالفرنسية مثلاً أثناء الحديث والتواصل اليومي والإعلامي لأنها أسهل وأكثر تداولاً في الشارع أو على اللسان؛ وهنا نجد هجيناً من اللغات واللهجات بين العربية الفصحى والعامية باعتبارها لغة المنشأ الأكثر تداولاً...



المصدر: الفايستوك

يلاحظ في الأمثلة الواردة آنفا أنّ استعمال الدارجة/ العامية جاء بغرض الاستهزاء والسخرية من الواقع المعيش، وخاصّة بعض المواقف الباعثة على الضحك، أو من أجل أخذ العبرة، فطوّع المتعاملون الاجتماعيون اللغة لخدمة أغراضهم التواصلية وللتماشى مع الصورة المرفقة، ليلتحم الدال اللساني والدال الأيقوني مشكّلين ثنائية متكاملة المقاصد والدلالات.

ولا يخفى علينا استعمال اللّغة الفرنسية أكثر من الإنجليزية في التواصل أيضًا عند الجزائريين؛ ذلك أنّ لها حظوةً واسعةً باعتبار تمكّنها في اللّسان الجزائري والعاميّة الجزائرية خاصّةً، ولكّنها متفاوتةً في مستويات استعمالها عند بعضٍ بسبب ضعف تكوينهم في اللغة الفرنسية وفي اللغات الأجنبية الأخرى. وعلى الرغم من ذلك لها جمهورها الذي يكتب ويتحدّث بها بطلاقةٍ أيضًا كاللغة الأم، وهذا طبعًا جرّاء انتشارها في العهد الاستعماري من جهةٍ، واستمرار الاحتكاك بفعل العلاقات الخارجية مع فرنسا من جهةٍ أخرى، وبفعل وجود نخبةٍ جزائريةٍ فرانكفونية تسعى لتأصيل التّغريب بمختلف وجوهه.



الشكل (08) صورة لاستخدام اللغة الإنجليزية

المصدر: الفايسبوك

ويبقى للعاميّة مساحة واسعة في التواصل؛ إذ لا قواعد تحكّمها وتضبطها كاللغة المقتّنة- بل لها قوانينها الخاصة وهي مضمّنة في عقل كل واحد منّا. يعبر بها عن الأفكار ووجهات النّظر إلى الحياة، والنّموذجان الآتيان يبيّنان مدى قدرة المخيلة في استعمال اللّغة للتعبير عن مقاصد بالرغم من أنها تحمل شكلياً نوعاً من التّناقض. كما أنها لغة مناسبة للأمثال الشّعبية الهادفة.



الشكل (09) و (10): صور لاستخدام العامية واللهجة الجزائرية

المصدر: الفايسبوك

تكتب الغالبية من المتعاملين الافتراضيين اللغة العربية كما تتحدث بها بالحرف اللاتيني بنسبة أكبر من الحرف العربي أحياناً؛ كون العامية خليطاً من لغات ولهجات ومستويات مختلفة ومتعددة خاصة في الجزائر، ولا يتعلّق الأمر بمستوى علمي أو اجتماعي معيّن فقط، بل حتى عند أصحاب الشهادات العليا، وهنا يزداد مع انتشار الظواهر اللغوية التواصلية الجديدة وهي مختصرة جداً للكلمات ولم تكن موجودة من قبل، وعادة ما تمزج الحروف بالأرقام عندما يشبه الرقم رسم الحرف باللغة المكتوبة مثل رقم 7 للحرف (حاء)، والرقم 9 للحرف (قاف)، والرقم 5 للحرف (خاء)، والرقم 3 لحرف (عين) في العربية ومثله في الفرنسية مع كلمة غداً Demain واختصارها 2m1، وإن كان يشكّل استبدال العامية بالفصحى بذلك دوراً خطيراً على اللسان العربي.

لقد كثرت ظاهرة الاختصار في التواصل اللغوي باللغة العربية والأجنبية، إن لم نقل إنها صفة ملازمة عند الشباب المراهقين والجامعيين بكثرة وكل من يقضي وقتاً طويلاً على مواقع التواصل؛ حيث تُحذف حروف أو مقاطع عند الكتابة، وهذا الشكل أكثر انتشاراً باللغة الفرنسية ويقال في اللغة العربية، مثل 4444 Fort في الصفحات الفيسبوكية، و: آآآآ، هههه، و: آآآآ... التي تستعمل ربما ربما للضحك أو التعجب أو المفاجأة.

للغة العربية انتشار واسع في الفضاء الأزرق في الوطن العربي؛ لأنها اللغة الأم التي يتواصل بها العرب، ولكنها بدأت في التراجع نتيجة التعدّد اللغوي للمتعاملين، وهيمنة اللغات الدخيلة على الفصحى، سواء الفرنسية أم الإنجليزية وحتى اللهجات المحلية، ولعل ذلك راجع إلى الهيمنة الاستعمارية على العرب، ومخلفاته التي تركها مزروعة في اللاوعي الجمعي العربي، ففي المشرق العربي تكثرت الإنجليزية وتحتكر وسائل التواصل الاجتماعي أو حتى الإعلام، أمّا في المغرب العربي فإنّ الفرنسية تكاد تحجب اللغة العربية بين المتعاملين، وخاصة فئة الشباب والمراهقين؛ إذ يقومون بكتابة حروف فرنسية ولكن بأسلوب ومعنى عربي (فرنسة العربية)، وهذا ما يستدعي دقّ ناقوس الخطر، فهل هذا معناه أنّ الفرنسية أقوى تعبيراً وأكثر بلاغة من العربية؟ أم أنّ العولمة فرضت التعامل باللغات العالمية على حساب العربية.

ولعلّ كتابة الرسائل باللهجات العامية أقلّ وطأة من التعامل باللغات الأجنبية؛ لأنّ العامية تبقى قريبة من الفصحى مع قليل من التّحريف الصّوتي والتّحوير اللّفظي الذي يبعدها عن الفصحى، ويلجأ إليها المتعاملون لأنها لغة التّخاطب اليومي وبها يتواصلون. لكنّ هذا التعدّد اللغوي من شأنه أن يُضعف العربية ويهدّد استقرارها وأمنها، ويُرجع المتعاملون الأمر لعدم اهتمامهم بالجانب النّحوي للعربية الفصيحة، وأنّ النّحو يشكّل عائقاً أمامهم للتّخاطب، ما أدّى بهم إلى الاستعانة بالصور والإيموجي أو اللغات الأجنبية. وقدّ شعرت بعض الجهات العلمية والمؤسسات الرسمية بخطر التعدّد اللغوي والعامية على اللغة العربية ونادوا بضرورة البحث عن الأسباب والبدائل والحلول، نذكر منها: (أسو، /، صفحة 15) الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف

اللّغوي بالسعودية، وندوة ظاهرة الضّعف اللّغوي في مرحلة الجامعة بالرياض، وكتاب قضايا اللّغة العربية في العصر الحديث لـ "سمر روجي الفيصل" ... وغيرها من المقالات والكتب.

لكن، اتّضح لنا بما لا يدعُ مجالاً للشكّ أنّ مستقبل اللغة العربية في أمانٍ أكثر من أهلها والناطقين بها، في ظلّ الظروف الراهنة وعلى شبكات التواصل الاجتماعي، فوجدنا احتفاءً واحتفالاً بالتواصل بها على غرار أنماط تعبيرية وتواصلية أخرى، وهذا يعكس -طبعاً- الأهمية التي تحتلّها اللغة العربية بين مختلف أوساط المجتمع والمتعاملين بها، فكان لها وجودها الفعلي بما يؤكّد حتمية استمراريتها وضرورتها خاصةً أنّها اللغة الرّسمية في مختلف المحافل الدّولية وفي المدارس والمعاهد والجامعات بدءاً بالأجيال الصّاعدة، فهي اللغة المعتمدة من الدولة أيضاً في التدريس، والأكثر من ذلك فهي لغة القرآن الكريم، ولذلك يمكننا القول كما قال رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في كلمة ألقاها في اليوم الدّراسي بجامعة قاملة أنّه: لا خوف اليوم على اللغة العربية.

وهذا ما يجعلنا نحس بالاطمئنان والانتشاء لحقيقة وقيمة اللغة العربية التي ما تزال منتشرة بكثرة استعمالها، وسنزداد اطمئناناً أكثر عندما نقرأ التعليقات التي كثيرًا ما تنمّ عن وعي عميق، وهذا مؤشّر حقيقي على صمود اللغة العربية مهما كانت الظروف والأحوال بالرغم من ثقافة العولمة المتغيّرة والمسيرة لحركة التطوّر العلمي والتكنولوجي، فتصمد اللغة الفصحى رغم ما يواجهها من تحدّياتٍ في الدفاع عن الشّأن الثقافي والهوية القومية العربية والإسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم الذي سيحفظها على مرّ الأزمنة لقوله جلّ جلاله في سورة الحجر الآية (9): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

خاتمة:

في ختام المقال، نخلص إلى مجموعة من النتائج منها:

_ أنّ اللغة العربية هي أداة التّواصل كما اللغات الأخرى الطّاغية، فتشكّل اللغة النسبة العالية من الإسهام في نقلها وتواصلها، ولكن في ظلّ اجتياح اللغات الأجنبية خاصةً الإنجليزية، وجب المحافظة على اللغة العربية بصياغةٍ حديثةٍ لنظريةٍ تربويةٍ إسلاميةٍ لمواجهة التحديّات والمخاطر المحدقة بها وبأهلها، خاصةً في ظلّ معرفة خطورة الإعلام المرئي والمقروء في مسخ الهوية العربية والإسلامية؛ فالأمن الإنساني ينطلق من فكرةٍ جوهريّة مفادها توفير الاحتياجات الأساسية للأفراد، وهو شرطٌ أساسيٌّ للمجتمعات، ومن دون تحقيق الأمن الإنساني لا يمكن تحقيق الأمن القومي؛ ذلك أنّ «الأمن الإنساني يعني التحرّر من المعاناة الإنسانية الناتجة عن الكوارث الكونية التي هي من صنع الإنسان على المستويات المحلية والإقليمية والدولية»، (جداي، 2019، صفحة 28) ومن هنا وجب «العمل على تنمية الإحساس بالمسؤولية الدينية والوطنية لدى شرائح المجتمع كافة، لكي يكون المتلقّي ذا مناعةٍ قويّةٍ أمام كلّ ما من شأنه أن يجردّه من انتمائه وأصوله ويخدش في عقيدته ودينه» (جداي، 2019، صفحة 74) خاصّةً أنّ مواقع التواصل الاجتماعي لا تعمل بمعزلٍ عن سياقاتها في المجتمع الافتراضي.

_ ولئن كان توظيف العامية للتواصل في الفضاء الأزرق أكثر من الفصحى، فإنّها تبقى اللغة الرسمية المعتمدة في المدارس والجامعات والمحافل العلمية، وتبقى للغة العربية الفصحى مكانتها في مواقعها المهمة كالكتب والمجالات والجرائد وكلّ ما يُعنى بالثقافة والعلم والدين... وبواسطة حفظ الإنسان العربي كيانه ويتواصل بها مع غيره.

_ لقد ساعدت الوسائل التكنولوجية بما فيها شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة على نشر اللغة العربية بين مختلف أبنائها والمتعاملين بها وتعميقها بشكل أفضل، فكانوا يستعملونها وإن تفاوتت مستويات التعامل معها وبها، فحفظتهم وحفظوها.

_ أمّا من ناحية وظيفتها التفاعلية فيجب الاهتمام أكثر ببناء أسس التواصل اللغوي مع مراعاة مختلف العوامل المؤثرة في التواصل: «شبكات التواصل الاجتماعي بما هي عليه من مجتمع افتراضي يرمي بظلاله على الواقع كما ينعكس عليه هذا الواقع، تتصلّب صورة جيّدة تعكسها، وسيحتاج الأمر لتكاتف جهود مختلف الشرائح في المجتمع الجزائري». (قناوي، صفحة 238)

_ يمثّل استخدام اللغة بين المتعاملين تحدّيًا إضافيًا أمام شبكات التواصل المختلفة، كما أنّها أداة الاتصال الإنساني الرسمية والتي تمكّن الأفراد من الدخول في علاقات اجتماعية وتفاعلات مختلفة مهما تطوّرت الأزمان.

_ رغم سلبيات الاستعمال المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي في انتهاك حرمة اللغة المكتوبة فإنّه أسهم في تأسيس لغة أيقونية ساعدت على التبليغ والتواصل وأصبحت لغة عالمية متداولة وشديدة الانتشار.

_ تبقى للغة العربية هيبتها ومكانتها التي لن تتزعزع رغم المحاولات الجادة لطمسها بين فئات الناطقين بها، وسواء أضيفت لها الإيموجي أم الرموز والإشارات فإنّ لها القدرة الكاملة على التبليغ الصّحيح، فيكفيها فخرا أنّها لغة أهل الجنّة وأنّها حاملة كتاب الله تعالى.

- المراجع:

أسو، س. ي. (/). أخطار العامية والأمية والعجمية على الفصحى في الجامعات العربية، محاولة لتشخيص مشكلات عصرية تواجه العربية واقتراح الحلول التقنية: /مطابع الجامعة الإسلامية. العربية، م. ا. (1994). المعجم الوجيز. مصر، القاهرة: طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

القذافي، ر. لا ت. (علم النفس التربوي. الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.

الله، ر. ج. (لات. (استخدام الإيموجي) الإيموتيكون (في مواقع الدردشة وأثره على اللغة العربية.

جداي، أ. ق. (2019). تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأمن المجتمعي للدول الخليجية. المركز الديمقراطي العربي.

دريج,م). لا ت. ((تحليل العملية التعليمية. الرباط، المغرب:مطبعة المعارف الجديدة.

عالمي,س.(2004). مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري.المغرب:دار إفريقيا الشرق.

قناوي,م.(n.d.). استخدام اللغة العربية في شبكات التواصل الاجتماعي، الفيسبوك أنموذجًا، دراسة ميدانية تحليلية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.

للاستشارات,م. ا. (1438 هـ). (دور مواقع التواصل الاجتماعي في الاحتساب، تويترنموذجًا. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المحتسب للنشر والتوزيع.

معزوز,ع. ا. (2004). فلسفة الصّورة. المغرب:دار إفريقيا الشرق.

منظور,ا). لا ت. (لسان العرب، ج. 11. القاهرة، مصر: دار المعارف.

ولعة,ص.(n.d.). القرنة والتأويل. مجلة التواصل الأدبي .

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

شاوي راوية ، بن قيراط حنان ، (2024)، التّواصل والتعدّد اللغوي بين الواقع والضرورة في شبكات التّواصل الاجتماعي ، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 15 (العدد 1)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 64-77.